(129) ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذلة والافتقار .

أي ما طلب لك - أيها المريد - الحوائج من ا تعالى شيء مثل الاضطرار إليه إذ به تقع الإجابة لقوله سبحانه : { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاه } (62) النمل . فقوله طلب مبني للفاعل الذي هو شيء فيكون شبه الاضطرار بشخص طالب . ويحتمل بناؤه للمفعول وشيء نائب فاعل على معنى أن أحسن مطلوب يطلبه العبد الاضطرار وهو أن لا يتوهم من نفسه حولاً ولا قوة ولا يرى لنفسه سبباً من الأسباب يعتمد عليه أو يستند إليه بل يكون بمنزلة الغريق في البحر أو التائه في التيه القفر لا يرى لغياثه إلا مولاه ولا يرجو لنجاته من هلكته أحداً سواه . والذلة والافتقار أمران موجبان لإسراع مواهب الحق تعالى إلى العبد المتصف بهما وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : { وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ } (123) آل عمران . فذلتهم أوجبت عزتهم ونصرتهم كما قيل في هذا المعنى : .

وإذا تذللت الرقاب تقرباً منها إليك فعزها في ذلها .

وما ألطف قول بعضهم : .

حيث أسلمتني إلى الذال واللا م تلقيتني بعين وزاي .

وافهم هاهنا قوله A : " لا حول ولا قوة إلا با كنز من كنوز الجنة " .

ص 103 .

(130) لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبداً . ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه .

أي لو أنك لا تصل إلى ا تعالى - أيها المريد - إلا بعد فناء مساويك أي عيوبك ومحو دعاويك التي تدعيها من نسبة الأعمال إلى نفسك لم تصل إليه أبداً لأن المساوي والدعاوي طبعك ولو لم يكن إلا إرادتك تحصيل هذا الغرض بنفسك لكان كافياً فلو تأملت وجدت محاسنك كلها مساوي ولو كنت رأس المخلصين وأحوالك كلها دعاوي ولو كنت أصدق الصادقين . { وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا } (21) النور . ولذا قال أبو العباس المرسي : لن يصل الولي إلى ا حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى ا تعالى يعني انقطاع أدب لا انقطاع ملل . وقوله : غطى وصفك بوصفه أي أظهر لك من صفاته السنية ما تغيب به عن صفاتك البشرية فتكون في مقام الحب الذي قال

في صاحبه : " فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش به ورجله التي يمشي بها " . وصاحب هذا المقام لا تكون له إرادة مع مولاه لأنه ما وصل إلى ا إلا بما من ا . { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (54) المائدة